

SANKORE'



Institute of Islamic - African Studies International

www.sijasi.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ¹، صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا²

¹ بسم الله الرحمن الرحيم ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ورحمة للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلق الله ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا إنقضاء صلاة دائمة بدوام الله باقيا ببقائه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، فقال المعروض إلى الخطأ لكثرة جهله وعجم لسانه الدميم، المنكسر خاطره لقلّة عمله وتقواه العديم، المشفق من خبث صنيعه وتأثيره الأثيم أفقر العبد إلى مولاه الغني الحميد أبو الفاعل عمر محمد شريف بن فريد المفقود من ذرية أئبنا إبراهيم الحلیم ثم الموجود ببركات سيدنا محمد عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم، فهذا تعليق الحواشي في هوامش كتاب سوق الأمة إلى إتباع السنة لسيدى وعقيدتى وسراجى وعمدتي وطريقتي ودليلي وحجتي محيي السنة العارف بالله قطب الأقطاب إمام الأولياء نور الزمان مجدد الدين سيف الحق أمير المؤمنين الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان المعروف بابن فودي تغمده الله تعالى برحمته أمين، فأشير إليه في هذه الحاشية بملقب له "الشيخ"، وضعت هذا الشرح لإظهار ما أقتبسته من أسرار كتابه القدسية وفتحات الربانية متضمن في التزام بالسنة المحمدية وإنتشار بركاتها السنوية ونعماتها الغمرية، وسميته تَوْقِ اللَّمْعَةِ وَإِتْمَامِ النَّعْمَةِ فِي شَرْحِ عَلَى سَوَاقِ الإِمَّةِ إِلَى إِتْبَاعِ السُّنَّةِ، وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل، فأقول وعلى الله اعتمادي: قال الشيخ رحمة الله عليه مبتدأً: "بسم الله الرحمن الرحيم"، فهي البسملة المشهورة التي اشتملت على اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى، وجمعت فيها علوم الأولين والآخرين، قال الوزير أمير المصالح عبد القادر بن غداد في بسطة الفوائد وتقريب المقاصد: قال العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز في شرح المختصر: سبب الإبتداء بها الإقتداء بالقرآن الحكيم وسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وإمتثالاً لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في حسن الأخبار والتأسي بفعل السادات الأخيار والقودة الأخبار، وأما القرآن فمبدؤها لفظاً وكتابة في الفاتحة وجميع السور، وأما السنة فقد اشتهر في الأحاديث كان صلى الله عليه وسلم يبدؤا بها في رسائله"، وأمرنا بها في جميع أمورنا كما رواه عبد القادر الرهاوي في الأربعين عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبترا))، وفي رواية: ((هو أقطع))، وفي رواية: ((هو أجزم))، والكلام على البسملة بحر زاخر، فلم يصلوا إلى غايته ولا بلغوا إلى نهايته، وقد نص العلماء على أن من أراد قراءة علم ينبغي له أن يذكر الغرض المتعلق بها من ذلك العلم، ففضائل البسملة لا يمكن حصره، فمن يريد فضائلها انظر كتاب قري الأحياء للعارف الشيخ محمد تکر بن محمد وبسطة الفوائد المذكور للوزير وأمير المصالح عبد القادر بن غداد.

قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمُضْطَّرُّ لِرَحْمَةِ رَبِّهِ **عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُثْمَانَ** الْمَعْرُوفُ بِ**إِبْنِ فُؤَدِي** تَعَمُّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ أَمِينٌ³.

² قال الشيخ رحمة الله عليه: "صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا" امتثالاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، واقتداءً بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ))، فالصلاة أصل معناه الدعاء والعبادة المخصوصة لما فيها من تحريك الصلوتين، فمعنى الحديث أن من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تأليفه ورسالته وغيره لم تزل الملائكة تدعوا له بالمغفرة مدة بقاء اسم النبي صلى الله عليه وسلم مكتوباً في هذا الكتاب أو الرسالة، وفيه أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ آهَ عَلَى مَا يَأْتِي فِيهِ))، وقال بعض المتأخرين من العلماء المالكية كعلامة الشيخ سيدي أحمد زروق: الخطاب في معنى ذلك يحتمل أن المراد أنه كتب الصلاة عليه في كتابه أو رسالته، ويحتمل أنه قرأ الصلاة عليه المكتوبة، وهو أوسع وأرجى، والأول أظهر وأقوى، والمراد بها أن يقال: صلى الله عليه وسلم، وقال بعض العلماء أن معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب هو أن يكتبه ويتلفظ به ليحصل له الثواب الآتي في الحديثين المقدمين، وقال الشيخ شهاب الدين أحمد الخفاجي في نسيم الرياض: "وقال بعض الحفاظ: كنت أكتب الحديث فأكتب الصلاة فقط، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي: ((أما تتم الصلاة في كتابك))، فما كتبتُ بعد ذلك إلا صليت عليه وسلمت"، فقد ذكر المصنف رحمة الله عليه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب المبارك مائتين وسبع وعشرين مرات، فجعلتها ورداً في قراءة هذا الكتاب في بدايته وعند إتمامه.

³ ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمُضْطَّرُّ لِرَحْمَةِ رَبِّهِ" أي إقراراً لعدم القدرة بكل حال في ذاته وعرضه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، قال الشيخ الحاتمي: "الفقير هو الذي يفتقر إلى كل شيء ولا يفتقر إليه شيء، وهذا هو العبد المحض عند المحققين، فتكون حاله في شبيبة وجوده كحالته في شبيبة عدمه"، وقال الشيخ ابن الحاج في الفقير: "أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته لشغله بربه واقباله على اصلاح نفسه وتنظيفها من الغير، فكل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح، وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلي والمخاطبة في سره بما يليق بحاله"، وقال الولي أبو يزيد البسطامي رحمه الله: "قال لي الحق: قرب إلي بما ليس لي: الذلة والافتقار"، وقال الشيخ أحمد بن عبيدة رحمه الله: "أما الفقير فهو الذي افتقر مما سوى الله، ورفض كل ما يشغله عن الله، لذا قالوا: الفقير لا يملك ولا يملك، أي لا يملك شيئاً ولا يملكه شيءٌ وشروط الفقير أربعة: [1] رفع الهمة؛ [2] وحسن الخدمة؛ [3] وتعظيم الحرمة؛ [4] ونفوذ العزيمة"، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُثْمَانَ الْمَعْرُوفُ بِإِبْنِ فُؤَدِي" وهو أمير المؤمنين أبو محمد سعد، عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هرون بن محمد غرط بن محمد جب بن محمد سنب بن ماسران بن أيوب بن بوب بابا بن ابي بكر بن موسى جكل بن الإمام دمبب التروذي الفلاتي السوداني المجدد، المعروف في لغة الحوسية بـ"ضان فودي"، ومعنى "ضان" في لغة الحوسية "ابن"، ومعنى فُؤَدِي في لغة الفلاتية "الفقيه" أي كان والده محمد عالماً جليلاً المشهور بالعلم والتقوى، وأما أم المؤلف فهي السيدة حواء بنت السيدة فاطمة بنت محمد الشريف بن عبد الصمد بن أحمد الشريف بن علي الينبوعي بن عبد الرزاق بن الصالح بن المبارك بن أحمد بن أبي الحسن علي الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ عِمَادَ السُّنَّةِ وَأَعْلَا مَنَارَهَا وَخَفَضَ وُجُودَ الْبِدْعَةِ وَكَشَفَ أَنْوَارَهَا وَأَوْضَحَ شَوَاهِدَ الْحَقِيقَةِ وَأَظْهَرَ أَسْرَارَهَا وَكَسَفَ طُرُقَ اللَّابِاطِيلِ وَطَمَسَ أَثَارَهَا.⁴

بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين وأصحابه المرضئين، فانظر إلى المقدمة لنبذة في حياته، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ أَمِينٌ أَي غَمَدَهُ فِيهَا وَغَمَرَهُ بِهَا، وَرَوَى الطبراني عن أسامة بن شريك أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ))، قالوا: وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: ((وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ))، قال أبو عبيد: قوله: يَتَّعَمَدَنِي يَلْبَسُنِي وَيَتَّعَشَانِي وَيَسْتُرُنِي بِهَا، وَلَا بَدَأَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَذَلِكَ لِأَنَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، فَإِنْ كَانَ إِشَارَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَعْنَى قَوْلِهِ: "تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ": أَي غَمَدَهُ فِي أَخْلَاقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَمَرَهُ فِي سُنَّتِهِ وَفَاضَهُ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

⁴ ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "الْحَمْدُ لِلَّهِ" اقتداءً بالكتاب العزيز فبدأ القرآن بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وامتنالاً بمقتضى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَهُوَ أَقْطَعُ))، وقال الشيخ رحمة الله عليه في كتاب الورد: "كانت حق علينا أن نحمد الله حق التحميدات فرضاً ووجوباً بغير تحديد"، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "الَّذِي رَفَعَ عِمَادَ السُّنَّةِ" العِمَادُ الخَشْبَةُ الَّتِي يَقُومُ الْبَيْتُ، وَفِي حَدِيثٍ أَمْ زَرَعَ: "زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ"، أَرَادَتْ عِمَادَ بَيْتِ شَرْفِهِ، كَمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ لِسَانِ الْعَرَبِ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ عِمَادَ السُّنَّةِ الَّذِينَ يَحْيُونَ السُّنَّةَ وَيَشْرَفُونَهَا وَيَعْلَمُونَهَا لِلنَّاسِ فِي كُلِّ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَمَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ: "وَأَعْلَا مَنَارَهَا" الْمَنَارُ جَمْعُ مَنَارَةٍ وَهِيَ عَلَامَةٌ تَجْعَلُ بَيْنَ الْحَدِيثِ، وَرَوَى شَمْرُ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ: الْمَنَارُ الْعِلْمُ يَجْعَلُ لِلطَّرِيقِ أَوْ الْحَدِّ لِلأَرْضِ طِينٌ أَوْ تَرَابٌ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((أَنَّ لِلْإِسْلَامِ صَوِيَّ وَعِمَادًا))، أَي عَلَامَاتٌ وَشُرَائِعٌ يُعْرَفُ بِهَا فَمَعْنَى قَوْلِهِ: "وَأَعْلَا مَنَارَهَا" أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي عَلَّمَ الْعُلَمَاءَ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ هُمْ بَيِّنُ حَدِّ السُّنَّةِ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ، وَمَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ: "وَخَفَضَ وُجُودَ الْبِدْعَةِ وَكَشَفَ أَنْوَارَهَا"، فَالْبِدْعَةُ الْحَدِيثُ وَمَا ابْتَدَعَ مِنَ الدِّينِ بَعْدَ الْإِكْمَالِ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: "الْبِدْعَةُ كُلُّ مُحَدَّثَةٍ"، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: "الْبِدْعَةُ بَدْعَتَانِ: بَدْعَةٌ هَدَى وَبَدْعَةٌ ضَلَلَتْ، فَالْبِدْعَةُ هَدَى كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلِهَا))"، كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي قِيَامِ فِي الْجُمُعَةِ فِي رَمَضَانَ: نَعَمْتُ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، وَبَدْعَةُ ضَلَالٌ هِيَ الْأَمْرُ الْمُنْكَرُ الَّذِي لَيْسَ بِمُعْتَادٍ وَلَا مَعْرُوفٍ فِي السُّنَّةِ وَمِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَالضَّلَالَةُ وَصَاحِبُهَا فِي النَّارِ))، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: "الْبِدْعَةُ بَدْعَتَانِ: مَحْمُودَةٌ وَمَذْمُومَةٌ، فَمَا وَافَقَ السُّنَّةَ فَهُوَ مَحْمُودٌ وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ مَذْمُومٌ"، وَقَسَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْبِدْعَةَ إِلَى الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ كَمَا يَأْتِي بَيَانًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَمَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ: "وَخَفَضَ وُجُودَ الْبِدْعَةِ" أَي الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَفَضَ الْبِدْعَةَ الضَّلَالَةَ الَّتِي هِيَ بَدْعَةٌ مَحْرَمَةٌ أَوْ بَدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ مَخَالَفَةٌ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا ثَبَتَ بِهِ أَرْكَانَ السُّنَّةِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي أَصُولِ الشَّرِيعَةِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "وَكَشَفَ أَنْوَارَهَا" لِأَنَّ بَدْعَةَ مَحْرَمَةً أَوْ مَكْرُوهَةً شَبِهَ بِهَدَى وَنُورِ الشَّرِيعَةِ وَلَكِنْ لَيْسَتْ مِنْهُ، قَالَ أَبُو عَدْنَانَ: الْمُبْتَدِعُ الَّذِي يَأْتِي أَمْرًا عَلَى شِبْهِهِ لَمْ يَكُنْ ابْتِدَاءً إِيَّاهُ، فَأَنْوَارُ الْبِدْعَةِ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ ظُلُمَاتُ الَّتِي شَبِهَ أَنَّ مِنَ الدِّينِ وَلَكِنْ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ الَّذِي بَيْنَ مَنَاهِجِ الْحَقَائِقِ وَشَيْدِ أَسْرَارِهَا وَأَمْرٍ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالزَّمِ إِثَارِهَا وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَعَلَى السَّادَةِ التَّابِعِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ،⁵ أَمَّا بَعْدُ:⁶ فَهَذَا كِتَابُ

ليست منه، وعلماء السنة رضي الله تعالى عنهم هم الذين فرق بين الحق والباطل وبين السنة والبدعة وبين البدعة بدعة وخفض ظلماتها التي شبهت بنور الشريعة والسنة وحقرها في قلوب الناس، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَأَوْضَحَ شَوَاهِدِ الْحَقِيقَةِ وَأَظْهَرَ أَسْرَارَهَا" فالشواهد من الشاهد، قال ابن سيده: الشاهد العالم الذي يبيِّن ما علمه، فشواهد الحقيقة هم العلماء بالله الذين يعرفون ربهم بما ثبت عندهم من معارفهم ومكاشفاتهم لربهم وخلقه، فالله تعالى هو الذي أوضح علمه في قلوبهم وبنور بصيرتهم وإظهار أسرارها على ألسنتهم، فحقيقة الأمر يقين شأنه، وهو ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه، فمعنى الحقيقة في لغة أهلها العلم للدنية والعلوم الإلهامية التي موافقة بالشريعة، فإن الحقيقة بلا شريعة باطلة، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَكَسَفَ طُرُقَ الْبَاطِلِ وَطَمَسَ أَثَارَهَا" جمع الباطل وهو نقيض الحق قال تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، فالباطل كل شيء مخالف دائرة الحق التي هي: قضية العقل ونص الكتاب ونص الحديث المتواتر وإجماع علماء السنة رضي الله تعالى عنهم، كما قال الشيخ رحمة الله عليه في فتح البصائر، قال أبو عبيدة: "يأتي زمانٌ يظهر فيه الباطل"، وهو زمان يظهر فيه علماء سوء الذين يحسنون للناس ما يفتحون به من الظلم والبدعة والمعاصية ويقلبون لهم الباطل حقا ويسكتون مع القدرة على بيان الحق، والله هو الذي خسف طرق الإباطيل وطمس أثارها بعلماء السنة الذين يبيِّن الحق ويعلمونه للناس، والحمد لله على ذلك.

⁵ ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ الَّذِي بَيْنَ مَنَاهِجِ الْحَقَائِقِ وَشَيْدِ أَسْرَارِهَا" معنى الصلاة في لسان العرب الترحم والدعاء، قال الشيخ عبد الله بن فودي في تعليم الأنام: "في الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ فَرَضٌ مَرَّةً كَالشَّهَادَةِ بِالنَّبُوَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وَمَا عَدَا الْمَرَّةَ فَمَنْدُوبٌ مِّنْ سُنَنِ الْإِسْلَامِ وَشِعَارِ أَهْلِهِ، وَيَتَأَكَّدُ اسْتِحْبَابُهُ فِي التَّشْهَدِ الْأَخِيرِ مِنَ الصَّلَاةِ وَفِي الْإِسْحَارِ وَعِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ وَكِتَابِهِ وَعِنْدَ الْأَدَانِ"، والمناهج جمع المنهاج والمنهج وهو طريق وبين واضح، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، قال العباس رضي الله تعالى عنه: "لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَرَكَكُمْ عَلَى طَرِيقِ نَاهِجَةٍ"، أي طريق واضحة بيّنة، فمعنى قوله رحمة الله عليه: "مناهج الحقائق" طرق إلى معارف الحق، وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الطَّرِيقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ إِلَّا مِنْ اقْتِفَاءِ أَثَارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وَقَالَ أَبُو حَمْرَةَ الْبَغْدَادِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا دَلِيلَ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِمُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ لَزِمَ نَفْسَهُ إِلَى آدَابِ السُّنَّةِ يَنُورُ اللَّهُ قَلْبَهُ بِأَنْوَارِ الْمَعَارِفِ، فَلَا الطَّرِيقُ أَشْرَفُ مِنْ إِتِّبَاعِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوْامِرِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ"، فمعنى قوله رحمة الله عليه: "شيد أسرارها" أي بناها وأنشئها لأن الحقائق وأسرارها بدأ به عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فهو فلق صبح أنوار الوجدانية وطلعة شمس الأسرار الربانية وبهجة قمر الحقائق الصمدانية وعروس الحضرة الرحمانية، ومعدن أسرار الله ولسان حجته، ينبوع المعارف الربانية، وخيطة الأسرار الإلهية، وغاية المنتهى للسائلين، ودليل كل حائر من السالكين، ومجمع الحقائق الإيمانية، وطور التجليات الإحسانية، ومهبط الأسرار الرحمانية، واسطة عقد النبيين، ومقدم جيش المسلمين، وقائد ركب الأنبياء والمرسلين، وأفضل

الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ أَفْلَحُ وَأَنْجَحُ وَأَتَمُّ وَأَصْلَحُ وَأَزْكَى وَأَوْفَى وَأَرْجَحُ وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَجْزَلُ الْمَنِّ وَالتَّحِيَّاتِ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَأَمْرًا بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالزَّمَّ إِثَارَهَا" أي أمرنا الله تعالى في كتابه العزيز وأمرنا سيدنا محمد في أقوله عديدة، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وفي رواية القاضي عياض في الشفاء عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ)) الحديث، فقال فيه أيضا: "وقال عليه السلام: ((إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))"، وروى أحمد وأبو داود والترمذي عن العرياض بن سارية قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَيَاكُمُ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((أَمَرْتُ أُمَّتِي أَنْ يَأْخُذُوا بِقَوْلِي وَيَطِيعُوا أَمْرِي وَيَتَّبِعُوا سُنَّتِي، فَمَنْ رَضِيَ بِقَوْلِي فَقَدْ رَضِيَ بِالْقُرْآنِ))، وغير ذلك من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر باتِّباع سنته وإلتزام أثارها كما يبين الشيخ رحمة الله عليه في هذا الكتاب المبارك، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَعَلَى آلِهِ" قال القاضي أبو الفضل عياض في الشفاء: "منفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم"، ومنهم أله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى آلِ أَحْمَدِ)) فيريد نفسه، فمعنى آله أزواجه وذريته، وقيل اتباعه وقيل أمته وصحيح هو آل بيته الذين حرمت عليهم الصدقة، وعوضوا منها الخمس، وهي صليبية بني هاشم وبني المطلب، وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه بعد نبيه صلوات الله عليهم أجمعين، وفي الحديث: ((لا تحل الصدقة لمحمد وآل محمد))، قال ابن الأثير: واختلف في آل النبي صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل الصدقة لهم، فالأكثر على أنهم أهل بيته، أي أزواجه وأولاده، وعلي بن أبي طالب وأولاده وذريته من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعفر بن أبي طالب وأولاده وعقيل بن أبي طالب وأولاده والعباس بن عبد المطلب وأولاده والحارث بن عبد المطلب وأولاده، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ" أي الصلاة على جميع أصحابه، فهذا دليل أيضا على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال القاضي عياض: "وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي"، فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم كل الرجال والنساء من الإنس والجن الذين خصهم الله بروية النبي صلى الله عليه وسلم، وسمعوا منه وأسلموا في زمانه ولو كانت صحبتهم له عليه الصلاة والسلام يوما واحدا، قال الشيخ رحمة الله عليه في إحياء السنة: "إن الله عز وجل خصهم بإقامة دينه واعلاء كلمته... خصهم الله بخصوصة لا سبيل لأحد أن يلحق غبار أحدهم فضلا عم عمله، إن الله عز وجل خصهم بروية نبيه عليه السلام ومشاهدته ونزول القرآن عليهم غضا طريرا يتلقونه من في النبي صلى الله عليه وسلم حين يتلقاه من في جبريل عليه السلام، وخصهم بالقتال بين يدي نبيه ونصره وحمايته وإذلال الكفر وإخماده ورفع منار الإسلام واعلائه وحفظهم أي القرآن الذي كان ينزل نجوما نجوما، فأهلهم الله لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد، فجمعوه ويسروه لمن بعدهم، وفتحوا البلاد والأقاليم للمسلمين ومهدوا لهم وحفظوا أحاديث نبيهم في صدورهم وأثبتوها على ما ينبغي من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة"، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَعَلَى السَّادَةِ التَّابِعِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ" كما قال الشيخ في إحياء السنة: "وهم الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفضيلة بقوله: ((خَيْرُ الْقُرُونِ قُرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))"، لم يبقوا لمن بعدهم

سوق الأمة إلى إتباع السنة⁷

شبيهاً يُحتاج أن يقوم به بل كل من أتى بعدهم إنما هو مقلدٌ لهم في الغالب وتابَع لهم، فإن ظهر له فقهٌ غير فقهِهم أو فائدةٌ غير فائدَتهم فمردودٌ كل ذلك عليه، فهو دين الله الذي يُدانُ به، وما خالفه فهو بدعةٌ وضلالةٌ مردودةٌ على صاحبها غير مقبولة، فمعنى قوله رحمة الله عليه "العلماء العاملين" أي الذين يعملوا بعلمهم، فمنهم الإمام مالك بن أنس والإمام أبو حنيفة نعمان والإمام محمد بن إدريس الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى، فأجمعوا الأمة على إن هذه الأئمة الأربعة هم أئمة المذاهب، وقال الشيخ رحمة الله عليه في توفيق المسلمين: "إن كل واحد منهم مجتهد في دين الله ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله تعالى"، وقال قبل ذلك الكلام بقليل: "إن علماء السنة رضي الله عنهم أجمعين أجمعوا على إن من قلد مذهباً من تلك المذاهب لقي الله سالماً ويوصله ذلك المذهب إلى الجنة"، ومضمن في دعائه كل العالم الذي يقتدأ بهم ويقلدهم على مذاهبهم، ففتح الشيخ هذا الكتاب بالدعاء من قوله: "الحمد لله" إلى "العلماء العاملين" بنفس صيغة التي فتح الشيخ العارف أحمد زروق رحمة الله تعالى عليه في كتابه عمدة المرید الصادق، وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي الشاذلي عُرف بزروق وبرنوس، مولده عند طلوع الشمس يوم الخميس ثامن عشر المحرم سنة ست وأربعين وثمانمائة، وإن أمه توفيت في الثالث من تاريخ ولادته، وأبوه بعد ذلك بخمسة أيام، وعمه بقربه فما أتى عليه السابِع إلا ولا مُسند له إلا الله تعالى، وله تاليف عديدة، وتوفي رحمة الله عليه سنة تسع وتسعين وثمانمائة، ودفن بمصراتة ذات الرمال من اطرف برقة قدس الله روحه وافاض علينا من بركاته، فكان الشيخ أحمد زروق له النفوذ المهم في أفكار الشيخ عثمان بن فودي رضي الله تعالى عنهما، فكلهما قاما بإخماد البدعة التي أحدثت الناس في باب التصوّف خاصة وسائر العلوم عامة.

⁶ ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "أما بعدُ: وقيل: فصل الخطاب هو "أما بعدُ"؛ وقيل أن داود عليه السلام أوّل من قال: أما بعدُ، وقيل: فصل الخطاب الفقه في القضاء، وقال أبو العباس: معنى: أما بعدُ، أما بعدُ ما مَضَى من الكلام، فهو كذا وكذا.

⁷ فالسوقُ من ساق الإبل وغيرها أي قادها أو يقدمها، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي سائق يسوقها إلى محشرها، وقال عليه السلام في الحديث: ((لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه))، أي استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه، ويؤيد هذا المعنى باستعمله العصا ليدل على استيلائه عليهم وطاعتهم له، فمعنى "سوق الأمة" انقياد الأمة وقادهم إلى إتباع السنة، فمعنى "الأمة" هنا جميع المسلمين من خواصهم وعوامهم من زمن الشيخ حتى ظهور المهدي المنتظر في آخر الزمان، ومعنى "السنة" الطبيعة والسنن الطريقة المحمودة المستقيمة، والسنة في الأصل سنة الطريق وهو طريق سنة أوائل الناس، فصار مسلماً لمن بعدهم، وقال الشيخ رحمه الله تعالى في إحياء السنة: فقال أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجوري في شرح منهج المنتخب: والسنة لغة الطريقة والعادة، وهي الأضطلاح مشتركة بين نوع من العبادات ونوع من الأدلة، فالسنة في العبادات: النافلة التي واطب عليها النبي صلى الله عليه وسلم، أو فهم منه الدوام عليها ولو تكرر سببها، كصلاة الكشوف، زاد بعضهم: وأظهرها في جماعة، والسنة من الأدلة وهي المراد هنا ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن، من قول أو فعل أو تقرير، بهذا عرفها بعض المحققين، اه، وفي المنهج المنتخب: سكوت سيد الروى محمد * وقوله وفعله للأبد، أو ما عليه قد أقرّ سنة، فمعنى بعنوانه "سوق الأمة إلى إتباع السنة" أي أورد فيه جميع الأحاديث التي يساق بها الأمة إذا

وَمَقْصُودِي فِي تَالِيْفِهِ إِحْيَاءُ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَاقْتَصَرْتُ فِيهِ لِتَقَاصِرِ هِمَمِ أَهْلِ الزَّمَانِ عَلَى إِيرَادِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فَصَّلْتُ إِجْمَالَ مَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ الَّتِي هِيَ الدِّينُ جَمِيعُهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْعِبَادَاتِ، وَلَا⁸ أَزِيدُ عَلَيْهِ إِلَّا أَحَادِيثَ الْجِهَادِ الَّتِي هُوَ الْحَافِظُ لِهَذَا الدِّينِ.⁹

انقيادهم إليها واتفاقهم عليها إلى الطريقة المحمودة المستقيمة المرضية، فيحتمل أن يكون معنى عنوانه أعلى من هذا لأن يسمى العرب المهر سَوْقًا لأنهم إذا كانوا تزوجوا يساقوا الإبل والغنم مهرًا، فوضع السَّوْقَ موضع المهر وإن لم يكن إبلا وغنما، فمعناه إذا أن هذا الكتاب وما فيه كالمهر لجميع الأمة الذي يسوقوا وتزوجوا به إلى السنة المحمدية، والنسل لهذا الزواج: النصر الحربية والكفاية الإقتصادية والظهور السياسية، ويحتمل أن معنى عنوان الكتاب يدل على اتضاع مؤلفه لأن من معنى "السوق" مؤخر كقولك: "ساقه الجيش" أي يمشي خلفهم، كما وُصِفَ به مشي النبي صلى الله عليه وسلم: "كان يسوق أصحابه" أي يقدمهم ويمشي خلفهم تواضعا ولا يدع أحداً يمشي خلفه، فإن الشيخ رحمه الله تعالى لا أورد في هذا الكتاب إلا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فلا ذكر فيه رأيه ولا رأي أحد من الفقهاء كأنه يقدم السنة ووضع رأيه روائها تواضعا لها واستدلالاً لمنهج القويم كما فعله الإمام مالك في الموطأ والبخاري في الجامع الصحيح، فقال السلطان محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي والوزير غداد بن ليم والشيخ عبد القادر بن مصطفى وغيرهم من الشيوخ والعلماء من الذين إتباع منهج الشيخ عثمان بن فودي أن هذا الكتاب المبارك يدل على إنه بلغ رتبة الإجتهادية والمجددية، فإذا استقصاه من حيث ما ورد فيه من الأحاديث ومعنيها وفقها وأصولها يعرف ذلك، كما نبينه إن شاء الله، فهذا الكتاب تحميس المسلمين على إتباع السنة ظاهرا وباطنا وتشجيعهم لإلتزام أثارها في هذه أواخر الزمان التي هي زمن الفتن وكثرة الجهل، كما نبه بذلك فيما روى الطبراني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الْمَتَمَسِكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فِسادِ أُمَّتِي لَهُ أَجرٌ مائة شهيد)).

⁸ هنا انتهى ورقة 2.

⁹ ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَمَقْصُودِي فِي تَالِيْفِهِ إِحْيَاءُ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ" قال بعض العارفين بالله: "نهايتك في بدايتك" كما الثمرة نتيجة بزرتة، فقال عليه الصلاة السلام كما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))، فقصد الشيخ رحمة الله عليه ونيته في تحرير هذا الكتاب المبارك لإحياء السنة المحمدية، وقال في إحياء السنة: "ومن كان مقصوده إحياء السنة المحمدية وإخماد البدعة الشيطانية لبذل النصيحة للمسلمين فإله المسئول في إعانتة، ومن كان نقصوده هتك أستار الناس والإشتغال بعيوبهم فإله حسيبه وسائله لأن من يتبع عورة أخيه تابع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته، والمؤمن يلتمس المعاذير والمنافق يتبع العيوب، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"، فقد روى الترمذي عن عمرو بن عوف المدني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ أَحْبَبَ سُنَّةَ مَنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أَجرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ لَا يَنْقُضُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِ النَّاسِ شَيْئًا، وَمَنْ ابْتَدَعَ بَدْعَةً لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ إِثمَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ لَا يَنْقُضُ ذَلِكَ مِنْ أَثَامِ النَّاسِ شَيْئًا))، روى الإصبهاني في تربيته واللائكائي في السنة قال عليه الصلاة والسلام: ((رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى خُلَفَائِهِ)) قيل: وَمَا خُلَفَاؤُكَ قَالَ: ((الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ مِنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ

أَحْيَانِي وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ))، فقد روى الديلمي عن علي بن إبي طالب أنه يقول: "لا قولٌ إلا بعملٍ ولا قولٌ ولا عملٌ إلا بنيةٍ ولا قولٌ ولا عملٌ ولا نيةٌ إلا بإحياءِ السنة"، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَأَقْتَصَرْتُ فِيهِ لِتَقَاصُرِ هِمَمِ أَهْلِ الزَّمَانِ" لأن همم الناس في زمانه وفي زماننا هذا قاصرة، فذلك من رحمة من الله تعالى أن العلماء يقتصر في كتبهم لتقاصر الهمم، فقد روى البخاري عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكوا إليه ما تلقى من الحجاج، فقال: "اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقى ربكم، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم"، وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يتقارب الزمانُ ويقبض العلمُ وتظهر الفتنُ ويلقى الشحَّ ويكثر الهرج)) قالوا وما الهرج؟ قال: ((القتل!!))، وفي رواية البخاري عن أبي هريرة أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يتقارب الزمانُ، وينقص العملُ ويلقى الشحَّ وتظهر الفتنُ ويكثر الهرج)) قالوا يا رسول الله أيم هم؟ قال: ((القتل! القتل!!))، فمن بركة هذا الكتاب أن الشيخ رحمة الله عليه اقتصره لتقاصر همم الناس في زمانه وزماننا هذا، فقال في نجم الإخوان: "فاشغلوا يا إخواني بقراءة تواليف علماء زمانكم، لأنهم هم العالمون بما هو الأهم في زمانكم، ولأن إليهم تفصيل ما أجمل من تواليف العلماء المتقدمين، لأن تواليف كل دور تفصيل تواليف من قبله، ولذا اعتنى كل عالم بالتصنيف في زمانه، مع أنه وجد كل ما يحتاج إليه في الدين في تواليف من قبله"، فاقترصره على ما قال رحمة من الله تعالى علينا، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "على إيراد الأحاديث التي فصلت إجمال ما في حديث جبريل عليه السلام من الإسلام والإيمان والإحسان التي هي الدين جميعه بالنظر إلى العبادات" فالحديث المذكور هو ما روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)) قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)) قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم يكن تراه فإنه يراك)) قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)) قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: ((أن تلد الأمة رببتها وأن ترى الحفاة العرأة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)) قال: ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي: ((يا عمر أتدري من السائل؟)) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))، وفي رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر)) قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: ((الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان)) قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت المرأة رببتها فذلك من أشراطها وإذا كان الحفاة العرأة رعوس الناس فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾)) ثم انصرف الرجل فقال: ((ردُّوا عليَّ)) فأخذوا ليرتوا فلم يروا شيئاً، فقال: ((هذا جبريل جاء ليُعلم الناس دينهم))، قال الشيخ رحمة الله عليه في عمدة العلماء: "أَنَّ الدِّينَ

وأوردُ فيه أَحَادِيثَ الصَّحِيحِينَ البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ فَقَطْ لِجَمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى قُبُولِهِمَا، وَلِكَوْنِ لَفْظِ رِوَايَةِ البُخَارِيِّ أَكْثَرَ فِيهِ مِنْ لَفْظِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي إِرَادِ مُعْظَمِهِ فِي الْمَعْنَى لِكَوْنِ البُخَارِيِّ أَصَحُّ مِنْ مُسْلِمٍ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ، وَلِكَوْنِ رِوَايَةِ البُخَارِيِّ عِنْدِي سَمَاعًا بَخْلَافِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ فَإِنَّهَا كَانَتْ عِنْدِي إِجَازَةً.¹⁰

الَّذِي أَتَى بِهِ نَبِيًّا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُصُولٌ وَفُرُوعٌ، فَأَمَّا أُصُولُهُ فَهِيَ الإِيمَانُ وَالْعِلْمُ الْمُصَحَّحُ لِلإِيمَانِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ، وَأَمَّا فُرُوعُهُ فَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ: فُرُوعٌ ظَاهِرَةٌ وَفُرُوعٌ بَاطِنَةٌ، وَأَمَّا الفُرُوعُ الظَّاهِرَةُ فَهِيَ الإِسْلَامُ وَالْعِلْمُ الْمُصَحَّحُ للإِسْلَامِ وَالَّذِي هُوَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ، وَأَمَّا الفُرُوعُ البَاطِنَةُ فَهِيَ الإِحْسَانُ وَالْعِلْمُ الْمُصَحَّحُ للإِحْسَانِ وَالَّذِي هُوَ عِلْمُ الحَقِيقَةِ، فَالإِيمَانُ وَالإِسْلَامُ وَالإِحْسَانُ هِيَ الدِّينُ جَمِيعُهُ، فَذَلِكَ اقْتَصَرَ هَذَا الكِتَابُ إِلَى الأحَادِيثِ الَّتِي تَبَيَّنَ لَنَا مَا هِيَ الإِيمَانُ وَالإِسْلَامُ أَوْ أُصُولِ الدِّينِ وَالْفُرُوعِ الظَّاهِرَةِ، فَأَمَّا الأَحْسَانُ أَوْ الفُرُوعِ البَاطِنَةِ فَهِيَ مَنْدَرَجٌ فِيهَا، أَي أَنَّ عِلْمَ الأَسْرَارِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالقُلُوبِ وَمَعَارِفَاتِهَا مَنْدَرَجٌ فِي تَصْحِيحِ الإِيمَانِ وَتَحْقِيقِ الإِسْلَامِ، فَالعَقِيدَةُ وَالفِقْهُ أَسَاسُ التَّصَوُّفِ، فَلَا السَّبِيلَ إِلَى الحَقَائِقِ إِلَّا بِإِثْبَاتِ شَرْطِهَا وَهِيَ الإِيمَانُ وَالإِسْلَامُ، فَالإِحْسَانُ مَنْدَرَجٌ فِيهِمَا وَإِنْ شَاءَ اللهُ سَأَسْتَخْرِجُهُ فِي شَرْحِهِ، وَمَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ: "وَلَا أَرِيدُ عَلَيْهِ إِلَّا أَحَادِيثَ الجِهَادِ الَّذِي هُوَ الحَافِظُ لِهَذَا الدِّينِ" أَي لَا يَحْفَظُ الدِّينَ إِلَّا بِإِقَامَتِهِ وَلَا إِقَامَةَ الدِّينِ إِلَّا بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا قَامَ فِي مَقَامِهِ كَالهَجْرَةِ وَالصَّلْحِ وَالمُعَاهَدَةِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَغَيْرِهَا الَّتِي مَنْدَرَجٌ فِي الجِهَادِ.

¹⁰ وَمَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ: "وَأُورِدُ فِيهِ أَحَادِيثَ الصَّحِيحِينَ البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ" أَمَا البُخَارِيُّ هُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ المَغِيرَةِ المَعْرُوفِ بِالبُخَارِيِّ، وَوُلِدَ فِي شِوَالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الفَضْلِ البَلْخِيِّ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: ذَهَبْتُ عَيْنًا مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ فِي صِغَرِهِ فَرَأْتُ وَالدَّتُهُ فِي المَتَامِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهَا: "يَا هَذِهِ، قَدْ رَدَّ اللهُ عَلَى ابْنِكَ بَصْرَةً لكَثْرَةِ بُكَائِكَ، أَوْ كَثْرَةَ دُعَائِكَ" فَأَصْبَحْنَا وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بَصْرَهُ، وَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ فِي الحَدِيثِ يُسَمَّى أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فِي الحَدِيثِ، وَصَنَفَ كِتَابَ التَّارِيخِ وَأَلْفَ الصَّحِيحِ فَهُوَ أَعْلَى وَأَصْحَ الكِتَابِ وَقَعَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ القُرْآنِ العَظِيمِ، وَقَالَ فِيهِ: "مَا وَضَعْتُ فِي كِتَابِي حَدِيثًا إِلَّا اغْتَسَلْتُ قَبْلَ ذَلِكَ وَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ"، وَقَالَ أَيْضًا: "مَا أَدْخَلْتُ فِي هَذَا الكِتَابِ إِلَّا مَا صَحَّ وَتَرَكْتُ مِنَ الصَّحَاحِ كَيْ لَا يَطُولُ الكِتَابُ"، وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا: "صَنَفْتُ الصَّحِيحَ فِي سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَجَعَلْتُهُ حِجَّةً فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى"، وَقَالَ النُّجْمُ بْنُ الفَضِيلِ: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النُّومِ كَأَنَّهُ يَمْشِي وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ يَمْشِي خَلْفَهُ، فَكَلَّمَا رَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَمَهُ وَوَضَعَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَدَمَهُ فِي المَكَانِ الَّذِي رَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَمَهُ فِيهِ"، وَقَالَ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ: "مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا بِنِجَابِ بَيْلِغِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ"، قَالَ أَبُو زَيْدٍ المَرْوَزِيُّ: "كَانَتْ نَائِمًا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: ((يَا أَبَا زَيْدٍ إِلَى مَتَى تَدْرُسُ كِتَابَ الشَّافِعِيِّ وَلَا تَدْرُسُ كِتَابِي؟)) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا كِتَابُكَ؟" قَالَ: ((جَامِعُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ))، وَقَالَ لَهُ الإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ: "أَشْهَدُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُكَ" وَسَلَّمَ قَدَمَهُ، وَتَوَفَّى لَيْلَةَ السَّبْتِ لَيْلَةَ الفِطْرِ عِنْدَ صَلَاةِ العِشَاءِ وَدُفِنَ يَوْمَ الفِطْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ سَنَةَ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَعَاشَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً إِلَّا ثَلَاثَةَ عَشْرٍ يَوْمًا، وَأَمَّا مُسْلِمُ وَهُوَ أَبُو الحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ وَرْدِ بْنِ كُوشَاذِ القَشِيرِيِّ النِّسَابُورِيِّ صَاحِبِ الصَّحِيحِ، إِنَّهُ وَوُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّاسِ وَمِنْ أَوْعِيَةِ العِلْمِ، وَقَالَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: "كَانَ مُسْلِمٌ ثِقَةً مِنْ

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَأَنْ يَجْعَلَهُ حُجَّةً

الحفاظ"، وقال الأمام مسلم: "صنفتُ هذا المسند الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة"، قال أحمد بن سلمة: "كنتُ مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث"، وقال الأمام مسلم: "ما وضعتُ في هذا ما وضعتُ في هذا المسند شيئاً إلا بحجة ولا أسقطتُ شيئاً منه إلا بحجة"، قال أبو عبد الرحمن السلمي فيه: "رأيتُ شيخاً حسن الوجه والثياب عليه رداء حسن وعمامة قد أرختها بين كتفيه"، فتوفي مسلم في شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابوري وهو بضع وخمسين سنة، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "فَقَطُّ لِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى قُبُولِهِمَا"، باستثناء الحديثين الواحد ورد في النوافلة في أربع ركعات قبل صلاة العصر كما قال: "وَلَمْ أَقِفْ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ فِي الصَّحِيحِينَ وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ"، والثاني ورد في كتاب الزكاة كما قال: "ولم أقف على قدر نصاب البقر في الصحيحين" فورد الحديث فيه من رواية الترمذي عن معاذ، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَلِكُونَ لَفْظِ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ أَكْثَرَ فِيهِ مِنْ لَفْظِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي إِرَادِ مُعْظَمِهِ فِي الْمَعْنَى" فقد ورد في هذا الكتاب مائتين وإثنين وثلاثين الأحاديث، منها مائتين وأربع وثلاثين أحاديث عن البخاري، وأربع وعشرين أحاديث عن مسلم، وواحد عن النسائي وواحد عن الترمذي، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "لِكُونَ الْبُخَارِيِّ أَصْحَ مِنْ مُسْلِمٍ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ" أي الجامع الصحيح وهو المشهور بـ صحيح البخاري، وهو أول الكتب الستة في الحديث، فهو أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى، وقال الإمام البخاري فيه: "رأيتُ النبي عليه السلام وكأني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب عنه، فسألتُ بعض المعبرين عنها، فقال لي: ((أنت تذب عنه الكذب))، وهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح"، وقال ابن أبي حمزة: "إن صحيح البخاري ما قرئ في شدة إلا فرجت، ولا ركب به في مركب فغرقت، وكان رح مجاب الدعوة"، ففضله عظيم، وعدد أحاديثه سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً، وعدد كتبه مائة وشيء وأبوابه ثلاثة آلاف وأربعمائة، كما بين الأستاذ عبد الله بن فودي في سراج البخاري، وقال فيه: "صَحِيحُهُ بَعْدَ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ * كُلُّ كِتَابٍ وَبِهِ الْمَعُولُ * فَهُوَ أَصْحَ مِنْ كِتَابِ مُسْلِمٍ * إِذْ شَرَطُهُ فِي الْإِتِّصَالِ فَاعْلَمْ * أَنْ يَنْبَتَ اللَّقَا فِي الْعَدَالَةِ * رِجَالُهُ فَاقَتْ بِهَا رِجَالَهُ * وَأَنَّ الْإِجْمَاعَ عَلَى تَلْقَى * مَا صَحَّحَاهُ بِالْقَبُولِ الْحَقَّ"، انتهى ملخصاً، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "وَلِكُونَ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ عِنْدِي سَمَاعًا" فسمع الجامع الصحيح من خاله الشيخ الحاج أبي محمد محمد بن الراج بن مُؤدِبُ دُتُّ بن حَمَّ بن عَالِ بن محمد جُبُّ بن محمد سَنَبُ بن ماسران رحمة الله تعالى عليه، كما قال الشيخ رحمة الله عليه في أسانيد الفقير بقراءته عليه لجميعه بمَرْتُونَ سنة مائتين بعد الف من الهجرة النبوية في الربيع الأول منها ثم أجاز به أيضاً عن شيخه أبي الحسن السندي المدني سماعاً عليه بقراءة عبد الرحيم المجاور في رباط قَرَابَاشَ في المسجد النبوي من باب فيه شعر الجارية، وأخذه بإجازة فيه أيضاً من الشيخ أبي الأمانة جبريل بن عمر ومن ابنه أبي التوفيق عمر بن جبريل بن عمر، فانظر المقدمة لسند الشيخ رحمة الله عليه إلى الجامع الصحيح للإمام البخاري، ومعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "بِخِلَافِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ فَإِنَّهَا كَانَتْ عِنْدِي إِجَازَةً. فَأَمَّا الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج، فهو الثاني من الكتب الستة وأحد الصحيحين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله، وعدد أحاديثه سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً، فأخذ الشيخ رحمة الله عليه إجازة فيه من خاله المذكور الشيخ أبي محمد محمد بن الراج والشيخ أبي الأمانة الحاج جبريل بن عمر وإبنيه الشيخ أبي التوفيق عمر بن جبريل بن عمر، فانظر المقدمة لإسناد الشيخ رحمة الله عليه إلى الصحيح للإمام مسلم.

لَنَا لَا عَلَيْنَا وَأَنْ يُرِينَا بَرَكَتَهُ يَوْمَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحِينَ حُلُولِ الْإِنْسَانِ فِي رَمْسِهِ وَأَنْ يَنْفَعُ بِهِ
مَنْ قَرَأَهُ أَوْ طَالَعَهُ أَوْ كَتَبَهُ أَوْ حَضَّ عَلَيْهِ وَأَنَا أَطْلُبُ مَمَّنْ وَقَفَ عَلَيْهِ وَانْتَفَعَ بِهِ أَنْ يُشَارِكَنِي
بِدَعْوَةٍ صَالِحَةٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.¹¹

¹¹ قد أخذت إجازة في هذا الكتاب وفي سائر كتب للشيخ عثمان بن فودي رحمة الله تعالى عليه وكتب أصحابه وأولاده من شيخي وعمدتي وسراجي الشيخ الإمام الخطيب محمد الأمين بن آدم كريانغ بن محمد تكرر بن محمد سنّب بن محمد ليلي بن أبي بكر بن سنّب درّينما رحمهم الله تعالى في مايرنو في سنار في السودان الحالية، كما أخذها من والده الشيخ آدم كريانغ وهو عن الشيخ موسى المهاجر وهو عن الإمام علي بن أبي بكر وهو عن المؤلف المبارك نور الزمان مجدد الدين أمير المؤمنين سيدي عثمان بن فودي تغمده الله في رحمته أمين، اللهم يا رب العرش العظيم يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدرة عظيمة ذاتك في كل وقت وحين، اللهم أسألك من كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة، اللهم وفقنا لاتباع سنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا بجاه عندك، اللهم أرض عن روح نور الزمان ومجدد الدين وسيف الحق وأمير المؤمنين الشيخ عثمان بن محمد فودي وأشياخنا وأشباههم أولهم وآخرهم، اللهم أرحم الشيخ عثمان وتجمعنا وإياه في اعلى فراديس الجنان وفيمن مواطن الرحمة والرضوان، اللهم أرحم شيخنا الشيخ فروق بن الشيخ محمد الأمين بن آدم وأرحم والده وشيخي الذي أجازني في هذا الكتاب المبارك الشيخ الفقيه الخطيب محمد الأمين بن آدم كريانغ، اللهم أرحم والده وشيخه الإمام الخطيب آدم كريانغ، وارحم شيخه الفقيه الإمام موسى، وأرحم شيخه العالم الفقيه الخطيب الشيخ علي بن أبي بكر، اللهم أرحم شيخه وشيخنا المؤلف الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان المعروف بآن فودي، اللهم أحيينا على ما أحييت عليه الشيخ عثمان بن فودي، اللهم أمتنا على ما ماتت عليه الشيخ عثمان بن فودي، اللهم أرحم أمير المؤمنين سلطان بلاد السودان سلطان مايرنو الحاج أبا بكر بن محمد الطاهر بن محمد بلو بن محمد الطاهر بن أحمد زروق بن أبي بكر عتيق بن الشيخ عثمان بن فودي، وطول سلطه وأمره حتى وصله إلى الإمام المهدي، اللهم أرحم جماعة الشيخ عثمان بن فودي وأولاده وذريته في الحجاز والسودان والنيجيرية والنيجير والمغرب الأقصى، اللهم أرحم السلطان صكت ووزيره ومجلسه وجميع الأمراء وعمالهم في شمال النيجيرية، اللهم أجعل هذا الشرح والتعليق والتحرير خالصا لوجك الكريم، اللهم أجعله حجة لنا ولا علينا، اللهم أرنا بركته في الدنيا والآخرة، اللهم أجعل هذا الكتاب نافعا لنا ولأزواجنا ولأولادنا وذريتنا وذريتهم حتى تقوم الساعة، اللهم افتح لنا كتابك وسنة نبيك باطنا وظاهرا وارزقنا العمل بهما بذاتك المقدسة، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه واحينا فيمن يحيي سنة نبيك وامتنا فيهم وانشرنا في زمريتهم بجاه محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع اشياخنا وذريتنا وإخواننا وأزواجنا وأصهارنا واحبائنا وأولياءنا من أهل زماننا وجميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم رجالهم ونسائهم كبيرهم وصغيرهم، ربنا تقبل دعا الشيخ عثمان بن فودي وتقبل دعائنا معه بذاتك المقدسة وبأسمائتك الحسنى بجاه محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عنه الغافلون،

اعلموا يا إخواني أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الْإِتِّبَاعِ وَالشَّرَّ كُلَّهُ فِي الْإِبْتِدَاعِ،¹² وَقَدْ حَصَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَتَرْكِ مُحَدَّثَاتِ¹³ الْأُمُورِ فِي أَحَادِيثِ كَثِيرَةٍ. **منها** قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَالضَّلَالَةُ وَصَاحِبُهَا فِي النَّارِ))،¹⁴ رَوَاهُ جَابِرٌ¹⁵ وَأَصْلُهُ فِي مُسْلِمٍ.

وكلما سجد الساجدون وكلما ركع الراكعون، يا رب العرش العظيم يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا

أرحم الراحمين، وآخر دعوانا ﴿أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.¹² ومعنى قوله رحمه الله تعالى: "اعلموا" أي اعلموا خيرا يقينا ونظرا استدلالا وذوقا مكشفا، فلا يمكن يعلم الشيء إلا أن يعمل به، ومعنى قوله رحمه الله تعالى: "يا إخواني" أي يا إخواني في جماعتي ورعياتي، أو يا إخواني من أمة المسلمين وهو أولى، ومعنى قوله رحمه الله تعالى: "أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الْإِتِّبَاعِ وَالشَّرَّ كُلَّهُ فِي الْإِبْتِدَاعِ" فإنه قاعدة عميقة من قواعد الدين المشهور على ألسن العلماء العاملين من السلف والخلف، فقد قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: "لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أُزَيِّغَ"، وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: "أَصْنَعُ كَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ"، وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: "لَمْ أَكُنْ أَدْعُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ"، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: "النَّظَرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَدْعُو إِلَى السُّنَّةِ وَيَنْهَى عَنِ الْبِدْعَةِ"، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول: "الْقَصْدُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْإِحْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ"، وقال سيد التابعين أويس القرني رضي الله تعالى عنه: "إِيَّاكَ أَنْ تَفَارِقَ الْجَمَاعَةَ... - يعني جماعة اتباع السنة واجتناب البدعة - ...فَتَفَارِقَ دِينِكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ، فَتَدْخُلَ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَوَّلِ مَنْ دَخَلَ"، وقال عمر بن عبد العزيز: "سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنًا وَوَلَاةَ الْأُمُورِ بَعْدَهُ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا تَصَدِيقٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتِعْمَالٌ لِبِدْعَةِ اللَّهِ وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي رَأْيٍ مَنْ خَالَفَهَا، مَنْ اقْتَدَى بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنْ انْتَصَرَ بِهَا مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا ﴿وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَاءُ اللَّهِ مَا تَوَلَّى وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاعَتْ مَصِيرًا﴾، وكان ينشد مالك رحمه الله تعالى: "وَخَيْرُ أُمُورِ الدِّينِ مَا كَانَ سُنَّةَ * وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ الْبِدَائِعُ"، وقال أيضا: "السُّنَّةُ سَفِينَةُ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ"، وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: "لَيْسَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا اتِّبَاعُهَا"، وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: "وَلَا لِأَحَدٍ كَلَامٌ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وقال إمام طائفة الصوفية سيدنا أبو القاسم الجنيد البغدادي قدس الله سره: "الطَّرِيقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ إِلَّا مِنَ اقْتِنَاءِ أَثَارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وقال سيد سادات الصوفية أبو حمزة البغدادي رحمه الله تعالى: "لَا دَلِيلَ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِمُتَابِعَةِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ انْتَزَمَ نَفْسَهُ إِلَى آدَابِ السُّنَّةِ يَنُورُ اللَّهُ قَلْبَهُ بِأَنْوَارِ الْمَعَارِفِ، فَلَا الطَّرِيقَ أَشْرَفَ مِنْ إِتِّبَاعِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوْامِرِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ"، فكل هذا يدل على إن جميع الخيرات في الدنيا والآخرة في اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن جميع الأشرار في الأمور المحدثات البدائع.

14 فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))، مقتبس من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾، فهو لإجازه وإفهامه ما اشتمل كل خير، ويضمن في معنيها الصدق كما في رواية: "إن أصدق الحديث كتاب الله"، ومعنى حديثه كلامه كما صرح لذلك في رواية: "فأحسن الكلام كلام الله"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَحَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))، الهدْيُ بفتح الهاء وسكون الدال بمعنى السمت والطريقة، وضبط في بعض النسخ بضم الهاء وفتح الدال على أنه ضد الضلالة والمعنى به سيرته وطريقته الرضية وهيئته السوية، كما في رواية: "وأحسن الهدى هدى محمد"، وفي رواية: "وإن أفضل الهدى هدى محمد"، فهذا دليل على أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الطريقة إلى الله تعالى ومعرفته كما بين ذلك أبو القاسم الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: "الطَّرُقُ كُلُّهَا مَسْنُودَةٌ إِلَّا مِنْ اقْتِنَاءِ آثَارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَسُرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا))، جمع مُحَدَّثَةٌ يريد المحدثات التي ليس في الشريعة أصل يشهد لها بالصحة، وهي المسماة بالبدع كما ذكر القرطبي أي البدعة التي تخالف الكتاب والسنة واجماع الأمة، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))، هذا عام مخصوص والمراد غالب البدع، قال أهل اللغة: هي كل شيء عمل على غير مثال سابق، وقال بعض العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباهة، ومن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للردّ على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك، ومن المندوبة تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك، ومن المباح التبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك، والحرام والمكروه ظاهران وهما ما المراد بقوله عليه السلام: ((كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))، فلذلك قال عمر بن الخطاب في شأن التراويح: "نعمت البدعة هذه"، فسماه بدعة من حيث صورة إثباتها فلذلك لا يجوز لك أن تتكر البدعة على أحد إلا أن تعلم أنها من البدعة المحرمة إجماعاً أو من البدعة المكروهة إجماعاً، فمعناه: كل فعلة أحدثت على خلاف الشرع ضلالة لأن الحق فيما جاء به الشارع فما لا يرجع إليه يكون ضلالة إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، ومعنى قوله علسه الصلاة والسلام: ((وَالضَّلَالَةُ وَصَاحِبُهَا فِي النَّارِ))، فالمراد به كل بدعة أي كل المحدث الذي هو بدعة ضلالة محرمة أو مكروهة ما أصل له في الشرع في النار وكذلك الحامل عليه مجرد شهوة أو إرادة بخلاف محدث له أصل فيه إما بحمل النظر على نظيره أو لغير ذلك.

15 هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي المدني الفقيه الإمام الكبير المجتهد الحافظ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل بيعة الرضوان، فشهد ليلة العقبة مع والده وكان أصغر من سبعين الأنصار حينئذ، وكان من من ألف وأربع مائة أناس أهل الحديبية الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ))، وشهد بدرًا وهو ثماني عشرة سنة وشهد أحداً والخندق وبيعة الشجرة، وروى علماً كثيراً عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر وعلي وإبي عبيدة ومعاذ بن جبل والزبير ظانفة سواهم، وكان مفتي المدينة في زمانه، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً، فعاش أربعاً وتسعين سنة فمات سنة ثمان وسبعين.

وَقَوْلُهُ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا¹⁶: ((مَنْ أَحَدَّثُ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))¹⁷، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ¹⁸: ((مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))¹⁹.

SANKORE

¹⁶ وهي أم المؤمنين عائشة بنت الإمام الصديق الأكبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عمر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيمم القرشية التيمية المكية، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أفضه نساء الأمة على الإطلاق، فمسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وأتفق لها البخاري ومسلم على: مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وأنفرد مسلم بتسعة وستين.

¹⁷ فمعنى قوله عيه الصلاة والسلام: ((مَنْ أَحَدَّثُ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ)) أي هذا الأمر الواضح الكامل الذي لا يحتاج إلى زيادة أحداث فهو شيء لم يكن له من الكتاب والسنة عارض ظاهر أو خفي ملفوظ أو مستتبط، قال الشيخ في إحياء: "أما تفريع الأصول التي هي منه فإن ذلك لا يتناوله هذا الرد ككتابة القرآن في المصاحف وكالمذاهب التي هي عن حسن نظر الفقهاء المجتهدين الذين يردون الفروع التي هي أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكالكتب الموضوعة في النحو والحساب والفرائض وغير ذلك من العلوم مما مرجعه ومبناه على أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوامره فإن ذلك لا يتناوله هذا الحديث"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَهُوَ رَدٌّ)) قال أهل اللغة: الرد هنا بمعنى المردود أي ذلك المحدث مردود غير مقبول، لأنه باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وهو أصل في الإعتصام بالكتاب والسنة ورد الأهواء والبدعة، قال الإمام الحافظ أبو عمرو بن عبد البر: "كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء".

¹⁸ أي في رواية الجامع الصحيح لمسلم عن عائشة بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، فهذا أول الأحاديث التي ورد الشيخ رحمه الله تعالى منه.

¹⁹ فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ عَمَلَ عَمَلًا)) أي أحدث فعلاً أو من عمل عملاً الذي أحدث غير، فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا))، يعني حُكْمَنَا وَإِنْنَا، أو ليس على سنتنا أي سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنن الخلفاء الراشدين المهديين والعلماء العاملين بعده، فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَهُوَ رَدٌّ))، أي مردود عليه، فلا يقبل منه لأنه ليس على أمر الشرع، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به، وقال الشيخ عثمان في كتابه إحياء السنة: "ربما يقول الفاعلون بدعة سبق إليه أنا ما أحدثت شيئاً فردّ عليه بهذا الحديث فهو صريح في ردّ كل المحدثات سواء أحدثها هو أم سبق إليه"، فهذا الحديث أصل من أصول الشريعة، فلذلك ذكره والحديثين قبله في مقدمة الكتاب.